رويّ الدال

قفا قليلاً بها عليّ!

قال أيضاً في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب:

[المنسرح]

أَهْـــلاً بِـــدَارٍ سَـــبَـــاكَ أَغْـــيَـــدُهَـــا
أَبْـــعَـــدُ مَـــا بَـــانَ عَـــنْـــكَ خُـــرَّدُهَـــا[١]
ظِـــلْـــتَ بِـــهَـــا تَـــنْـــطَـــوِي عَـــلَـــى كَـــبِـــدٍ
نَـــضِـــيـــجَـــةٍ فَـــوْقَ خِـــلْـــبِـــهَـــا يَـــدُهَـــا[٢]
يَـــا حَـــادِيَـــيْ عِـــيـــسِـــهَـــا وَأَحْـــسَـــبُـــنِـــي
أُوجَـــدُ مَـــيْـــتـــاً قُـــبَـــيْـــلَ أَفْـــقِـــدُهَـــا[٣]
قِـــفَـــا قَـــلِـــيـــلاً بِـــهَـــا عَـــلَـــيَّ فَـــلَا
أَقَـــلَّ مِـــنْ نَـــظْـــرَةٍ أُزَوَّدُهَـــا[٤]

---

(١) أهلاً: منصوب بمضمر، مفاده «جعل اللّه تعالى الدار آهلة بساكنيها». سباه: أسره بحبه. الخرَّد، الواحدة خريدة: البكر والحييّة من النساء.

(٢) ورد البيت في: مغني اللبيب، لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٤٤٤، ظلت: لغة في ظللت، خلبها: غشاء الكبد.

(٣) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٨٣، مغني اللبيب، لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٣٩٨. ويروى «عيرها» بدلاً من «عيسها» العير: الإبل التي تحمل الميرة عليها. العيس: كرام الإبل. قُبيل أفقدُها حذف أن المصدرية فرفع الفعل.

(٤) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٢٣٣، مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ٢٣٨، ٣٩٨. يخاطب الشاعر الحاديين اللذين يحدوان بها عيرها: أبقياها عليّ قليلاً لأراها وأتزوّد منها بنظرة أخيرة، فلا شيء أقلّ من ذلك.

فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوًى
أَحَرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا[١]
شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ
فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا[٢]
بَانُوا بِخُرْعُوبَةٍ لَهَا كَفَلٌ
يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا[٣]
رِبَحْلَةٍ أَسْمَرٍ مُقَبَّلُهَا
سِبْحَلَةٍ أَبْيَضٍ مُجَرَّدُهَا[٤]
يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً
أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا[٥]
لَيْسَ يُحِيكُ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ
أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا[٦]

(١) يقصد الشاعر بالمحبّ نفسه. الجوى: شدّة الشوق من عشق أو حزن. الجحيم: النار الشديدة الاشتعال واللهب.

(٢) اللمّة: ما اجتمع من شعر في المنكب وجاوز شحمة الأذن. الدمقس: الحرير الدمشقي الأبيض. يقصد الشاعر من البيت أن هجر الحبيبة جعل لمّته السوداء بيضاء لشدّة حزنه وشعوره بالهجر والحرمان.

(٣) الخُرعوبة: الشابّة اللينة الطرية. يقصد الشاعر أنهم رحلوا ومعهم امرأة ناعمة، وإذا نهضت منتصبة يكاد ردفها يقعدها لكثرة اكتنازه لحماً.

(٤) الربحلة والسبحلة: ما يُستحبّ في النساء من الجسامة وعظم الطول. المقبل: موضع القُبل، وهو الشفة، وتحبّ فيها السمرة. المجرّد: ما كشف عليه الثوب من الأطراف، وضعها بسمرة الشفة وبياض سائر البدن الذي لا تصل إليه الشمس والريح، فهو بالأحرى أشدّ بياضاً.

(٥) الفئة: الجماعة من الناس. وهو يقصد العشاق بذلك. العاذل: اللائم. يخاطب الشاعر اللائم بقوله لا تلم من أضلّه اللّه تعالى فعشقوا وهاموا وقد استحوذ الحبّ على قلوبهم حتى تملّكهم، فكيف تُرشدهم بعد ذلك؟

(٦) يحيك: يُؤثر. يوجّه الشاعر كلامه للائم بأن لومه لن يردّ الملوم ويردعه ويفتّ من عزمه، لذا فلن ينجح في محاولته، ولومه سيذهب أدراج الرياح.

بِئْسَ اللَّيَالِي سَهِدْتُ مِنْ طَرَبٍ
شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا[١]
أَحْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي
شُؤُونُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا[٢]
لا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا
بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا[٣]
شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا
زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا[٤]
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبِقُهُ
تَحْتِيَ مِنْ خَطْوِهَا تَأْوُّدُهَا[٥]
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ
بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرْدَدُهَا[٦]

---

(١) ورد البيت في: دلائل الإعجاز للجرجاني: ٣٠٤، خزانة الأدب، للبغدادي ٢: ٦٢٥. سهدت: سهرت، يذمّ الشاعر تلك الليالي التي بات فيها مؤرّقاً ولم يعرف طعم النوم، والحبّ شغل كيانه ووجدانه، بينما من شغلت فكره تنام ملء جفونها ولا تجد ما يجده من ألم الهجر والحرمان.

(٢) أحييتها: سهرتها. تُنجدني: تُعينني. الشؤون: مجاري الدموع من الرأس إلى العينين. يقصد الشاعر أن الدموع تمدّها الشؤون والليالي المظلمة تساعدها على البكاء أيضاً.

(٣) الرهان: السباق، الرديف: الراكب خلف الراكب. أجهد الناقة: حملها وأجبرها على السير فوق طاقتها. يقصد الشاعر أن نعله لا يسعه به الإسراع، وهو يعني به الناقة.

(٤) الشراك: سير النعل. الكور: رحل الناقة. المشفر من الناقة: بمثابة الشفة للإنسان. زمام النعل: ما تُشدّ إليها شسُوعها، وهي السيور التي تكون بين خلال الأصابع. المقود: الزمام الذي تقاد به الدابة. جعل الشاعر شراك نعله بمثابة الرجل للناقة، وزمامها بمثابة المشفر لها، والشسُوع بمثابة المقود.

(٥) تأوّدها: تمايلها. عصف الرياح: شدّة هبوبها. يمدح الشاعر نفسه بالقوّة وشدّة الاحتمال والسرعة في نفس الوقت: فهو يسبق الرياح الشديدة بسيره وعدوه منتعلاً.

(٦) المجنّ: الترس. القردد: الأرض المرتفعة الغليظة أو أرض فيها نجاد ووهاد. قال =

مُـرْتَـمِـيَـاتٌ بِـنَـا إلـى ٱبْـن عُـبَـيْـ
ـدِ ٱللَّـهِ غِـيـطَـانُـهَـا وَفَـدْفَـدُهَـا[١]
إلَـى فَـتًـى يُـصْـدِرُ الـرِّمَـاحَ وَقَـدْ
أَنْـهَـلَـهَـا فـي الْـقُـلُـوبِ مُـورِدُهَـا[٢]
لَـهُ أَيَـادٍ إلَـيَّ سَـابِـقَـةٌ
أُعَـدُّ مِـنْـهَـا وَلَا أُعَـدِّدُهَـا[٣]
يُـعْـطِـي فَـلَا مَـطْـلَـةٌ يُـكَـدِّرُهَـا
بِـهَـا وَلَا مَـنَّـةٌ يُـنَـكِّـدُهَـا[٤]
خَـيْـرُ قُـرَيْـشٍ أَبًـا وَأَمْـجَـدُهَـا
أَكْـثَـرُهَـا نَـائِـلاً وَأَجْـوَدُهَـا[٥]
أَطْـعَـنُـهَـا بِـالْـقَـنَـاةِ أَضْـرَبُـهَـا
بِـالـسَّـيْـفِ جَـحْـجَـاحُـهَـا مُـسَـوَّدُهَـا[٦]

= ابن جني: شبّه الشاعر الأرض بظهر المجنّ لما كانت خالية من النبات، وظهر المجنّ ناتئ، وبطنه لاطئ فهو كالصعود والحدور، أي أن هذه المفاوز محدَبّة مثل ظهر المجنّ يتّصل ما ارتفع منها بأماكن منخفضة مثل بطن المجن يعني أنها ذات جبال ووهاد.

(١) مرتميات: موصولات. الغيطان، مفردها غائط: المطمئنّ من الأرض. الفدفد: الأرض الغليظة المرتفعة. يصف الشاعر الطريق الموصلة إلى ممدوحه، فهي مفاوز، غيطانها وفدفدها مؤدّية إلى الممدوح سيراً، فكأنها تُوصله إليه.

(٢) يصدر الرماح: ينزعها من المطعون. أنهلها: رواها. يقصد الشاعر أن ممدوحه شجاع ينزع بقوّة الرمح من عدوّه وقد رواه من قلب عدوّه.

(٣) الأيادي: كناية عن الفضائل والكرم. يقصد الشاعر أن ممدوحه له يد الخير، وهو صنيعه بكلّ ما يقدّمه له من أعطيات.

(٤) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ١٩٢. المماطلة: التسويف. يُنكّدها: يُنغّصها. يقصد الشاعر أن ممدوحه سريع الاستجابة للكرم؛ فإذا وعد لم يُخلف وعده بالمماطلة، وهو لا يُمنّن في حال العطاء.

(٥) النائل: العطاء، يمدح الشاعر ممدوحه بانتسابه إلى خير قريش، فأبوه في مرتبة عليا في السؤدد والشرف، وهو ماجد شريف كريم.

(٦) الجحجاح: السيد الشريف. المسوّد: الذي جعله قومه سيّدهم. يصف الشاعر =

أَفْــرَسُــهَــا فَــارِسـاً وَأَطْــوَلُــهَــا
بَــاعــاً وَمِــغْــوَارُهَــا وَسَــيِّــدُهَــا[١]
تَــاجُ لُــؤَيِّ بْــنِ غَــالِــبٍ وَبِــهِ
سَــمَــا لَــهَــا فَــرْعُــهَــا وَمَــحْــتِــدُهَــا[٢]
شَــمْــسُ ضُــحَــاهَــا هِــلَالُ لَــيْــلَــتِــهَــا
دُرُّ تَــقَــاصِــيــرِهَــا زَبَــرْجَــدُهَــا[٣]
يَــا لَــيْــتَ بِــي ضَــرْبَــةً أُتِــيــحَ لَــهَــا
كَــمَــا أُتِــيــحَــتْ لَــهُ مُــحَــمَّــدُهَــا[٤]
أَثَّــرَ فِــيــهَــا وَفِــي الْــحَــدِيــدِ وَمَــا
أَثَّــرَ فِــي وَجْــهِــهِ مُــهَــنَّــدُهَــا[٥]
فَــاغْــتَــبَــطَــتْ إِذْ رَأَتْ تَــزَيُّــنَــهَــا
بِــمِــثْــلِــهِ وَالْــجِــرَاحُ تَــحْــسُــدُهَــا[٦]

= ممدوحه بالقوّة، فهو يطعن عدوّه برمحه ويضربه بسيفه، لذا انتخبه قومه سيداً عليهم.

(١) أطولها باعاً: كناية عن كرمه، يصف الشاعر ممدوحه بالفروسية الحقّة حالما يركب فرسه للحرب، إنه شديد الغارة يعود غانماً ظافراً، هو سيد الميدان بلا منازع.

(٢) لؤي: أبو قريش. المحتد: الأصل. يمدح الشاعر ممدوحه؛ فهو خير قريش منزلة في زمانه، وهم يتشرّفون به ويفتخرون بإنجازاته، فيه سما فرعهم الأثيل حتى وصل لؤي بن غالب.

(٣) التقاصير، واحدها تقصار وتقصارة: أصل العنق: القلائد التي تُعلّق على القصرة. يصف الشاعر ممدوحه، فهو بمثابة الشمس في ضحاها لحسن نورها في الضحى والهلال في الليل، والدرّ والزبرجد في القِلادة، لأهميّته عند قومه.

(٤) أتيح: أتته الفرصة. تمنّى الشاعر لو أنه يُصاب بمثل تلك الضربة، إنها وسام شجاعة وعلو منزلة كما كست ممدوحه فزادته جمالاً في وجهه.

(٥) المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند. كان القصد من تلك الضربة إهلاك الممدوح، فاستطاع ردّها خائبة عن هدفها، فإذا بتلك الضربة تبدو شعار شجاعة ووسام فخر لديه.

(٦) اغتبطت: سرّت. إن تلك الضربة تسرّ وتفتخر بأنها زيّنت ذلك الوجه حتى حسدتها =

وَأَيْـــقَـــنَ الـــنَّـــاسُ أَنَّ زَارِعَـــهَـــا
بِـالـمَـكْـرِ فِـي قَـلْـبِـهِ سَـيَـحْـصِـدُهَـا[١]
أَصْـبَـحُ حُـسَّـادُهُ وَأَنْـفُـسُـهُـمْ
يُـحْـدِرُهَـا خَـوْفُـهُ وَيُـصْـعِـدُهَـا[٢]
تَـبْـكِـي عَـلَـى الْأَنْـصُـلِ الْـغُـمُـودُ إِذَا
أَنْـذَرَهَـا أَنَّـهُ يُـجَـرِّدُهَـا[٣]
لِـعِـلْـمِـهَـا أَنَّـهَـا تَـصِـيـرُ دَمَـاً
وَأَنَّـهُ فِـي الـرِّقَـابِ يُـغْـمِـدُهَـا[٤]
أَطْـلَـقَـهَـا فَـالْـعَـدُوُّ مِـنْ جَـزَعٍ
يَـذُمُّـهَـا وَالـصَّـدِيـقُ يَـحْـمَـدُهَـا[٥]
تَـنْـقَـدِحُ الـنَّـارُ مِـنْ مَـضَـارِبِـهَـا
وَصَـبُّ مَـاءِ الـرِّقَـابِ يُـخْـمِـدُهَـا[٦]

= سائر الجرحات لكلّ البشر لما زادت ممدوحه جمالاً على جماله.

(١) الناس على يقين أن سبب هذه الضربة المكر الممزوج بالجبن سيلاقي جزاء فعلته في الممدوح.

(٢) إنّ حسّاد الممدوح في خوف دائم لا يقرّ لهم قرار ولا يعرفون للطمأنينة سبيلاً لذعرهم وخوفهم منه.

(٣) و (٤) الأنصل، مفردها نصل: حدّ السيف وشفرته. الغمود، مفردها غمد: بيت السيف. أنذرها: نبّهها. يُجرّدها: يُخرجها من أغمادها. بدافع الغيرة تبكي الأغماد في حال تجريدها من نصالها لعلمها أن تلك النصال ستغمد في صدور الأعداء ورقابهم وتغطيها دماؤها الحمراء، فتبدو كأنها أغماد جديدة لها.

(٥) الجزع: الخوف. يذمّها: يقدح فيها. لتلك الأنصال صدًى في النفوس، فالأصدقاء يفرحون إذا أطلق الممدوح لها حرّية الحركة، والأعداء يذمّونها لأنها نذير شؤم ينذرهم بموت مؤكّد.

(٦) المضارب، مفردها مضرب: حدّ السيف. لشدّة فتك الممدوح في أعدائه إذا بضرباته تنزل بعنف على رقابهم بحيث تقدح شرراً كأنها حوت على صخر، ولكن سرعان ما يختفي الشرر وتبرد نارها؛ فقد ارتوت بدمائهم.

إِذَا أَضَـــلَّ الْـــهُـــمَـــامُ مُـــهْـــجَـــتَـــهُ
يَـــوْمـــاً فَـــأَطْـــرَافُـــهُـــنَّ تَـــنْـــشُـــدُهَـــا[١]
قَـــدْ أَجْـــمَـــعَـــتْ هٰـــذِهِ الْـــخَـــلِـــيـــقَـــةُ لِـــي
أَنَّـــكَ يَـــا ابْـــنَ الـــنَّـــبِـــيِّ أَوْحَـــدُهَـــا[٢]
وَأَنْـــكَ بِـــالأَمْـــسِ كُـــنْـــتَ مُـــحْـــتَـــلِـــمـــاً
شَـــيْـــخَ مَـــعَـــدٍّ وَأَنْـــتَ أَمْـــرَدُهَـــا[٣]
فَـــكَـــمْ وَكَـــمْ نِـــعْـــمَـــةٍ مُـــجَـــلِّـــلَـــةٍ
رَبَّـــيْـــتَـــهَـــا كَـــانَ مِـــنْـــكَ مَـــوْلِـــدُهَـــا[٤]
وَكَـــمْ وَكَـــمْ حَـــاجَـــةٍ سَـــمَـــحْـــتَ بِـــهَـــا
أَقْـــرَبُ مِـــنِّـــي إِلَـــيَّ مَـــوْعِـــدُهَـــا[٥]
وَمَـــكْـــرُمَـــاتٍ مَـــشَـــتْ عَـــلَـــى قَـــدَمِ الْـــبِــــ
ـرِّ إِلَـــى مَـــنْـــزِلِـــي تُـــرَدِّدُهَـــا[٦]
أَقَـــرَّ جِـــلْـــدِي بِـــهَـــا عَـــلَـــيَّ فَـــلَا
أَقْـــدِرُ حَـــتَّـــى الـــمَـــمَـــاتِ أَجْـــحَـــدُهَـــا[٧]

---

(١) أضلّ: أضاع. الهمام: السيد الشجاع والبطل، ويقصد بذلك الملك، نشد الضالّة: طلبها وبحث عنها. لو أن ملكاً قُتِل وأضاع مهجته، بلا أدنى ريب، فطالب ذلك الملك سيوف ممدوحه أودت به إلى التهلكة.

(٢) الخليقة: البشر، الخلائق. أقرّت البشرية جمعاء أن ممدوحه أفضل الخلق طرًّا، وقد اجتمعت لديه فضائل النسب والشجاعة والكرم، يكفي أن يكون ابن النبي ﷺ.

(٣) وأنّك: مخفّفة من أنّك للضرورة الشعرية. المحتلم: الغلام وقد بلغ مبلغ الرجال. يمدح الشاعر خممدوحه بوفرة العقل ورجاحته. فقد كان بالأمس مرجع القوم وقد بلغ الحلم، وها هو ذا قد نضج وقد اكتملت لديه عناصر الكمال من رجولة ونسب ورجاحة عقل وتجربة في الحياة.

(٤) مجلّلة: شاملة. ولطالما توالت النعم منك فشملتني بإحسانك المتجدّد الذي لا يُنسى أبد الدهر.

(٥) سمحت: تكرّمت وقضيتها. يقصد أن ممدوحه يُبادر بإنجاز وعده حالما يعد.

(٦) و (٧) المكرمة: العطاء. من عطايا الممدوح للشاعر أنه أرسل إليه ثياباً لبسها مفتخراً =

فَـعُـدْ بِـهَـا لَا عَـدِمْـتُـهَـا أَبَـداً
خَـيْـرُ صِـلَاتِ الْـكَـرِيـمِ أَعْـوَدُهَـا(١)

نهى كهل في سن أمرد

قال في صباه:

[البسيط]

وَشَـادِنٍ رُوحُ مَـنْ يَـهْـوَاهُ فِـي يَـدِهِ
سَـيْـفُ الـصُّـدُودِ عَـلَـى أعـلـى مُـقَـلَّـدِهِ(٢)
مَـا ٱهْـتَـزَّ مِـنْـهُ عَـلَـى عُـضْـوٍ لِـيَـبْـتُـرَهُ
إِلَّا ٱتَّـقَـاهُ بِـتُـرْسٍ مِـنْ تَـجَـلُّـدِهِ(٣)
ذَمَّ الـزَّمَـانُ إِلَـيْـهِ مِـنْ أَحِـبَّـتِـهِ
مَـا ذَمَّ مِـنْ بَـذْرِهِ فِـي حَـمْـدِ أَحْـمَـدِهِ(٤)
شَـمْـسٌ إِذَا الـشَّـمْـسُ لَاقَـتْـهُ عَـلَـى فَـرَسٍ
تَـرَدَّدَ الـنُّـورُ فِـيـهَـا مِـنْ تَـرَدُّدِهِ(٥)

= بها، مزهوًّا بما ترمز به من تكريم، مقرًّا بفضله العميم.

(١) يطلب الشاعر من ممدوحه أن يُعيد المكرمة ويُرسل إليه عطايا أمثال ما تكرّم به عليه.

(٢) الشادن: الظبي إذا كبر واستغنى عن أمه، وبرز قرناه. المقلّد، في الأصل موضع القلادة، يقصد بذلك موضع نجاد السيف من المنكبين. يتغزل الشاعر بفتاة كأنها ظبي اكتمل نموّه، لذا تمكّنت من عاشقيها تقتلهم بعينين ملؤهما صدود كسيف لا يرحم.

(٣) يبتره: يقطعه. اتّقاه: احتمى منه. تجلّده: تصبّره. نظرات تلك الغانية فتّاكة قاتلة، ومن قصدته بنظراتها كان عليه أن يحتمي ويلوذ بالصبر. وإلّا فلا بدّ من وقوعه في شباكها.

(٤) الذمّ: ذكر النقائص لدى المرء. يقصد الشاعر أن ممدوحه. فضح الزمان من ظنّ الشاعر أن لديه حبًّا نحوه، فإذا به يكشف عُواره وخداعه، إنها حقيقة إذا مدح من اسمه أحمد، فإذا بأخلاقه تكشف سوء طبعه.

(٥) يصف الشاعر ممدوحه بأنه شمس ذات إشعاع في حال ركوبه فرسه فإذا ما انعكس ضوؤه على الشمس تولّدت الأضواء والإشعاعات ولهذا استفادت الشمس من نور طلعته.